الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال: اعلمْ -رحمكَ اللهُ-: وهذا دعـــــاء للمخاطب بحصول الرحمة له من عند الله تعالى عز وجل.

قال: أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائل: إذن أفاد الشيخ أن الوارد ذكره من العلم الواجب تعلمه، والمسألة تطلق عند العلماء على القضية من قضايا العلم، يقال مســـألة لأنه يجري فيها البحث والسؤال.

قال: الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ: هذه أول المراتب وهو العلم لأن العلم مفتاح كل شيء، فأول ما يجب عليه المكلف هو العلم، لأنه لا فائدة من عمل بلا علم، فلا بد من العلم، وأشرف أنواع العلوم على الإطلاق: ما تضمن شرف المعلوم، فشرف العلم ينبني على شرف المعلوم، وأشرف معلوم هو الله سبحانه وبحمده، ولهذا كان أوجب الواجبات هو العلم بالله، وفسر العلم بأنه وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، لكن هذه المعرفة ليس المراد بها المعرفة النظرية المجردة، بأن يُقر الإنسان بوجود الله، وببعثة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبأنه يوجد دين على وجه الأرض يقال له الإسلام، لا، وإنما المقصود المعرفة التي تثمر الإيمان والإتباع هذا هو العلم المطلوب. فالعلم بالله المقصود به: العلم به بمقتضى أسمائه وصفاته الوارثة لطاعته وعبادته سبحانه وبحمده، هذا هو العلم المطلوب.

قال: ومعرفةُ نبيِّهِ: والعلم بنبيه هو العلم بشخص محمد بن عبد الله الذي يورث تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع على لسانه، هذا هو المطلوب، ليس مجرد العلم النظري أو التاريخي.

قال: ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ: والمقصود بمعرفة دين الإسلام: العلم بأن لله دين افترضه على البشر ليعبدوه، لأنه خلقهم لذلك، وأن ذلك الدين هو الذي حمّله أنبيائه من لدن نوح عليه السلام إلى لدن محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا دين الإسلام هو دين الله للناس جميعًا.

فالإســــلام له معنـــيـــين: معنـــى عـــــام، ومعنـــى خـــــــاص.

- **الإسلام بالمعنى العام:** وهو ما بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، ولهذا قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه و تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا } [المائدة: ٤٤] ، فجميع أنبياء بني إسرائيل مسلمون، وكما قالت بلقيس ملكة سبــــأ: {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤] ، فدين الله على مر العصور هو الإســـــلام، ليس لله دين سوى الإســــــلام.

فالإسلام بالمعنـــى العام: هو الاستســـلام لله بالتوحيد، والانقيـــاد له بالطاعة، والخلوص له من الشرك، فهذا الذي بعث الله به أنبيائه جميعًا، لا فرق بينهم { لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥]

- **وأما الإسلام بالمعنى الخاص**: فهو ما بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق المتضمن للعقائد الصحيحة والشرائع العادلة والأخلاق الرفيعة، والآداب العالية، الذي هو النسخة الأخيرة الناسخة لما قبلها من الأديان.

قال: بالأدلةِ: أي أن تكون هذه المعارف مقرونة بالأدلة، والدليل: هو ما يرشد إلى المطلوب. ينبغي لنا معاشر المؤمنين أن ندرك العلم بدليله: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [هود: ١٧]، من كان على بينة من ربه ليس كمن كان يمشي على جري العادة

أو أخذ الأمر وراثة أو ما أشبه ذلك، عوّد نفسك ألا تعقد على مسألة من المسائل إلا وقد فقهت دليلها، لكي تعبد الله على بينة، ولهذا قال بالأدلة.

والأدلة متنوعة منها: أدلة سمعية، وأدلة عقلية، وأدلة حسية، وأدلة فطرية، فأنواع الدلالات متعددة.

- **الأدلة السمعية**: فهي ما جاء عن الله تعالى أو عن أنبيائه، فإذا ثبت الشيء في كتاب الله أو في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو دليل سمعي يجب الصيرورة إليه وتقديمه على كل شيء.
- **الأدلة العقلية**: وذلك أن الله سبحانه وتعالى فضلنا على سائر المخلوقات بهذه العقول ، وجعل العقل من وسائل الوصول للعلم، ولهذا نجد قوله تعالى: " أفلا يتدبرون " ، " أفلا يتفكرون" ، " أفلا يعقلون"" لقوم يعقلون " ، " لقوم يتفكرون "" إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" ، " إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"" أفلم يدّبروا القول" ، " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته"

إذن هناك أدلة عقلية، والله تعالى قد ضمن كتابه أدلة عقلية وإليكم هذا المثال: كان جبير بن مطعم-رضي الله عنه- من أسرى بدر، وقد ربط إلى سارية من سواري المسجد فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في صلاة المغرب بسورة الطور، فلما بلغ قوله الله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } [الطور: ٣٥]، قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي. هاتان الجملتان دليلان عقليان ناصعان لا يُبقيان مجالًا لأي شبهة، {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } [الطور: ٣٥]، لا هذا ولا ذاك.فالله خلقهم إذن هو المستحق للعبادة وحده.

- **أدلة حسية**: وهي ما أودع الله تعالى في ملكوت السماوات والأرض، { قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [يونس: ١٠١]، ولهذا نجد في كتاب الله: قوله: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ} [الواقعة: ٥٨]، {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ} [الواقعة: ٦٣]، { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ} [الواقعة: ٦٨] {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ } [الواقعة: ٧١]، كل هذه أدلة مادية وحسية تدل الإنسان على الحق.

- **أدلـــة فطـــــــــــريـــة**: وهي ما جبل الله تعالى عليه النفس الإنسانية من الحق، ولأجل ذا حمل بعض العلماء قول الله عز وجل **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢]** فقد أودع الله تعالى في القلب وفي النفس، الفطرة السليمة، {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [الروم: ٣٠].

فجميع الأدلـــة تتعاضد في الدلالـــة على الحق، فلا عـــذر لمبطل.

قال: الثانية: العملُ بهِ: لا بـــد من العمل

العـــلم يهتـــف بالعمـــل فإن استجاب وإلا ارتحـــل، لا بد من العمل لا يكفي مجرد العلـــم، لأن العلم حجـــة لك أوعليـــك، فإن عملت به فهو حجة لك، وإن أهملته كان حجة عليك. إذن لا بد من العمل ولهذا نجد في كتاب الله كثيرًا قرن بين العمل والإيمان:" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" ، " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات"،" فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، فالعمـــل ثمـــرة العلـــم، ولأجل ذا بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأمـــريـــن: بالهدى ودين الحق، فالهـــدى هو: العلم النافـــع، ودين الحق هو: العمـــل الصالح فلا بد من هذه المرتبة وهي العمل به .

واعلم – يرعاك الله- أن العمل يكون أحيانًا قلبيًا وأحيانًا يكون بدنيًا وأحيانًا يكون لسانيًا وأحيانًا يكون ماليًا، بعض الناس يتصور أن العمل فقط يكون في حركة الأبدان، لا ، فالعمل أوسع من ذلك، فأنت مثلًا إذا أقمت في قلبك الرجاء والخوف والتوكل والمحبة والخشية والإنابة فأنت في الحقيقة تعمل بعلمك لأن هذه المذكورات أعمال قلوب، وأعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح.

ومن الأعمال:

أعمال البدنية: كالصلاة والحج وإماطة الأذى عن الطريق.

أعمال مالية: وهو ما يبذله الإنسان من زكاة وصدقة.

أعمال قولية: وهو ما يلفظ به اللسان من الذكـــر وتلاوة القرآن وغير ذلك.

قال: الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ: من حصّل العلم واشتغل بالعمل به، فإن ذلك يحمله على الدعوة إليه تلقائيًا لأن المؤمن كالزهرة يفوح أريجها، الزهرة لا تُمسك أريجها بل إن عبقها يخرج وينتشر فيما حولها وكذلك المؤمن، فإن المؤمن إذا علِم فإن علمه ذلك يحمله على أن ينشر علمه فيما حوله بدرجات متفاوتة بحسب ما آتاه الله، فالدعوة إلى الله عز وجل من لوازم ومن الأمور التي تجب على كل مسلم بقدر ما آتاه الله، ولهذا قال الله عز وجل مخاطبًا نبيه : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل: ١٢٥]، وقال سبحانه: " {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [الشورى: ١٥] "، فيجب على كل مؤمن أن يستصحب هذه المرتبة وهي الدعوة، لا

يقولن قائل: الدعوة من خصائص هيئة كبار العلماء أو من خصائص حملة الشهادات الكبرى أو نحو ذلك، الدعوة إلى الله واجب كل مؤمن فيما أعلمه الله تعالى أية أوقفه عليه، فلا بد إذن من الدعوة، والحديث عن الدعوة يطول، ولا بد أن يتأدب الإنسان بالآداب القرآنية: بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ،كما قال في الآية الأخرى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [العنكبوت: ٤٦]، وفضله عظيم فإن صلى الله عليه وسلم قد قال:

- [فلأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النّعم].
- [من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئًا]، وكذلك من دعا إلى ضلالة، فلهذا نجد أن الله تعالى يسمي هؤلاء أئمة، وهؤلاء أئمة، فأهل الإيمان: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤] "، وأهل الضلالة: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} [القصص: ٤١]

قال: الرابعةُ:الصبرُ علَى الأَذى فيهِ: من علم وعمل ودعا فلا بد أن يُبتلى؛ فلذلك عليه أن يوطن نفسه على الصبر، ألم ترى أن لقمان –رحمه الله – قال في مواعظه لابنه: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [لقمان: ١٧] وماذا؟ {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧] فمن أمر ونهى ودعا؛ فليتوقع الأذى القولي والأذى المعنوي، فلذلك ينبغي أن يوطن نفسه على الصبر فيجب على الإنسان أن يصبر على الأذى فيما يدعو إليه، ولا يظن أنه إذا دعا إلى الله أنه سيستقبل بالورود والرياحين، وتُفسح له المجالس، بل سيلحقه من الأذى والابتلاء بقدر إيمانه، فلأجل ذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم:[أشد الناس بلاءً النبيون ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء، وإن كان في دينه رقة خُفف عنه].

والصبر لغة: الحبس، والمنع والمراد به : حبس النفس عن الجزع وباللسان عن التشكي والسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية هذه حقيقة الصبر، ومنزلته في الدين عظيمة حتى أنه كمنزلة الرأس من الجسد، **وهو أنواع:**

- فمنه الصبر الصبر على طاعة الله.
- ومنه الصبرعن معصية الله.
- ومنه الصبر على أقدار الله المؤلمة

ثم إنّ الشيخ –رحمه الله– بعد أن قرر المراتب الأربع، أتبع ذلك بالأدلة **فقال: والدليلُ قولُه تعالَى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[العصر: ١–٣]:** أقسم الله في مستهلها بالعصر وهو الدهر والزمان الظرف الزمان، وجواب القسم {**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**}.

الإنسان ها هنا هو جنس الإنسان بدليل الاستثناء بعد ذلك، وإن كان بعض المفسرين يقول: إن الإنسان إذا ذكر في القرآن المكي فالغالب عليه هو الإنسان الكافر، لكن هذا غالب لا يعـــم، فالمقصود بالإنسان ها هنا جنس الإنسان، فهو في خسر في خسار وبوار إلا من استثنى الله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا}: أي صدقوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم ونطقوا بألسنتهم،

{إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: أي عمل، لا، بل لا بد أن يكون عملًا صالحًا والعمل الصالح هو ما جاء على لسان النبي نبي الله تعالى،وما سواه فإنه لا يكون صالحًا.

{إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: هاتان الجملتان جمعتـــا بين الإخلاص والمتابعة، فالإيمان يدل على إخلاص العبادة لله تعالى، والعمل الصالح هو ما كان موافقًا للسنة فهو يدل على المتابعة.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} ومعنى تواصوا: أي أوصى بعضهم بعضًا، فهي مفاعله تواصوا بالحق أي بالالتزام به والتمسيك به، وما أحوج أهل الإيمان إلى التواصي بالحق!، فإن المؤمن إذا رأى من أخيه شدّ أزر، قوي، ولهذا قال موسى عليه السلام: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا } [طه: ٢٩ - ٣٥] ، وفي هذا لفتة لكم - العلم- وأنتم تستقبلون هذا المشروع المبارك، أن تتعاونوا فيما بينكم، وتتواصوْ بالحق، وتدارس العلم فيما بينكم.

{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}: أي يصبر بعضهم بعضًا على ما يلقون في ذات الله، فمن تأمل في هذه السورة العظيمة وجد أنها دلت على المراتب الأربع السابقة.

قال: قالَ الشافعيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالَى: الشافعي - رحمه الله-: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وهو من أهل غـــزة - فك الله حصارها ونصر أهلها- ، كان ميلاده سنة ١٥٠هـــ وكانت وفاته سنة ٢٠٤هـــ، وعلى قصر عمره -رحمه الله- فهو إمام متبوع من أئمة المسلمين.

قال: قالَ الشافعيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالَى:" لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هٰذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ": يالها من كلمة!، وليس مراده -رحمه الله- أن هذه السورة تغني عن بقية القرآن والسنة، لا، المقصود بالحجة يعني حجة العبـــودية والاتبـــاع. وأما تفاصيل الدين ومعرفة مفردات الشريعة فلا شك أن السورة لم تتضمنها، وإنما هذه السورة أصل عظيم في التوحيد والاتباع، والتواصي بالحق والصبر. **قال: وقال البخاريُّ -رحِمَهُ اللهُ تعالى-**: البخاري هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، وكانت ولادته في بخارى، وإليها ينسب، سنة ١٩٤هـــ، وفاته سنة ٢٥٦هـــ، وهو والشافعي كلاهما غني عن التعريف، وهما من أئمة الدين، الأول في الفقه والثاني في الحديث.

قال: وقال البخاريُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى: بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ: وقد قيل أن فقه الإمام البخاري في تراجمه، أنه لم يكن الإمام البخاري يخلط كلامه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يكتفي بنتف تراجم يبوب فيها أبواب

تدل على عميق فقهه -رحمه الله-، فمن ذلك قوله هنا: **بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ والدليلُ قولُه تعالَى :﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩]، فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ**: إي والله، ملحظ لطيف، واستنباط دقيق، ذلك أن الله تعالى قال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: ١٩] فأمره بالعلم قبل الاستغفـــار، مما يدل على البداءة بالعلم قبل القول والعمل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.